حُسن المقال في دروس وعِبَر ذكريات شهر شوّال من سيرة سيّد الرّجال صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى ماله من صَحْب وآل

2022-05-13

الحمد لله الذي جعل سَرْد سيرة نبيّه صلى الله عليه وسلم نزهة لذوي الأبصار والإستبصار. وأَخْذ الدروس والعِبَر منها يحيي موات القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. فسبحانه من إله جعل سيرته صلى الله عليه وسلم الزّكيّة أمنًا لمن تمسّك بها ونجاة من المعاطب. فهي أساسَ العمل والعبادة، والإقتداء بها يحقِّق في الدارين السعادة، ورِفعة الشّرف إلى أعلى المراتب، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. منّ علينا بالإسلام. وأكرمنا بنبيّه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام. وجعل آثاره الكريمة ضالّتنا المنشودة. والإقتداء بهديه الأهدى غايتنا المقصودة. وأمنيّتنا الموددة. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره الله تعالى مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قويماً لأهل مودّته، وأمرنا أن نتأسّى به في هديه وسَيْره وسِيرته. وقال لنا فيه كما في سورة الأحزاب:((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)).

مَا مِثْلُ رُتْبَتِهِ الرّفيعةِ رُتْبَةٌ * في الفخْر والعَلْياءِ والإجْلالِ
كَلاَّ ولا أحَدٌ يُبارِي فضْلَه * مِنْ سائرِ الأملاكِ والأرسالِ
صلّوا عليه وأكْثِروا بصلاتِكم * أبدًا لدى الإبْكار والآصالِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. سيّد ولد عدنان. وعلى آله السادة الأعيان. وصحابته الأجلّة الشجعان. صلاة تنوّر بها قلوبنا بنور الصدق والإيمان. وتهب لنا بها درجة أهل الخصوصية والعرفان. وتعطينا بها في جنّة النعيم ما لا عين رأت ولا أُذْن سمعت ولا خطر على قلب إنسان. من

الغُرَف والقصور والجوار الحسان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إذا كان شهر رمضان قد ذهب بذكرياته، فها هو شهر شوّال أيضا قد أتى بذكرياته؛ والذكريات أمرٌ يُلازم الإنسان، يتذكّرُها حينما تدُور دَورتها في التاريخ، والذكريات تنفع مَن يَخشى ويَتدبَّر، وتُفيد مَن يتّقي ويَعتبِر، والله تعالى يقول في سورة الأعلى:((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى))، ويقول تعالى في سورة الذاريات:((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ))؛ ومعنى الذكرى: أن نتذكَّر في الذهن حدثًا وقع في الماضي، ثم نَذْكره بألسنتنا في الحال، ثم نحاول الإستفادة منه بأعمالنا في المستقبل؛ ومن أجل ذلك إذا قمنا بإطلالة على السيرة النبوية من نافدة شهر شوال نجده قد حمل إلينا أحداثا عظيمة. أيّها المسلمون. في مثل هذا الشهر أعني شهر شوّال من السنة الثانية للهجرة نتذكّر غزوة يهود بني قَيْنُقاع وإجلاؤهم من المدينة. وهم أوّل يهود خانوا العهد وخرقوا الإتّفاق، ونقضوا العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم. حين قاموا بالإعتداء على حجاب إمرأة مسلمة فكشفوا عورتها؛ وقد أثار هذا الخبر المؤلم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة. ورأى أن ينكل بأولئك اليهود. بعد أنْ أمكنه الله منهم بنقض العهد. والإعتداء على عِرْض المسلمين وكرامتهم. وأَنْزَلَ اللَّهُ عزّ وجلّ فِي ذَلِكَ آيات بيّنات توضّح العلاقة بين المسلمين واليهود خلال الفترة القادمة، فقال تعالى في سورة آل عمران:((قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ)). وأنزل الله فيهم من سورة الأنفال قوله تعالى:((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)). فسار إليهم رسول الله صل الله عليه وسلم بجيشه وعزيمته. يؤيّده نصر الله ووعده الحق. وخرجوا من المدينة المنوّرة بعد ثلاثة أيام إلى منطقة تسمّى أذرعات بالشام. وهي مدينة

تجارية تابعة الآن لدرعة بسوريا. ولم يَدُرْ الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابْن أُبَيّ ابْن سَلُولَ: لا بارك الله لك فيهم. أيّها المسلمون. هذه المعركة درسٌ عملي في الولاء والبراء. والولاء يعني مناصرة الله ورسوله والمؤمنين، والبراء؛ أن يقطع المؤمن صلته بالكفار، ولا يحبّهم، ولا يناصرهم، ولا يقيم في أوطانهم إلا لضرورة. وعقيدة الولاء والبراء تحرّم علينا التعاون مع الكفار ضدّ المسلمين، كأن نفتح لهم أرض الإسلام يسرحون فيها لنشر الأمراض الفتّاكة، أو يبنون على الأراضي الإسلامية القواعد العسكرية التي تنطلق منها الطائرات لضرب المسلمين هنا وهناك، وهي تحرّم علينا أيضًا عقد الصفقات التجارية مع العدوّ المحارب، أو العدوّ المحتلّ، فضلاً عن تصدير ثروات البلاد الطبيعية إليهم. كالغاز ونحوه وبأيّ سعر كان. قال الله تعالى في سورة المجادلة:((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ)). وعقيدة الولاء والبراء، تحرّم علينا أيضًا أن نخذل إخواننا المستضعفين، أو أن نتركهم يقاتلون وحدهم في الميدان، فضلاً عن حرمة منع المعونات عنهم، أو إغلاق المعابر دونهم، أو شنّ الحرب الإعلامية على جهادهم، أو تشويه صورة أبنائهم وقادتهم. وقد قال تعالى في سورة الأنفال:((وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ)). أيّها المسلمون. لنذكِّر ونحذِّر ممّا يفعل أحفادهم الصهاينة اليوم بالمسجد الأقصى؛ فندعو لأهل القدس بالنصر، وهم الذين استحضر النبي صلى الله عليه وسلم حالهم حين قال فيما روى الإمام أحمد في مسنده:((لا تزال طائفة من أمّتي على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لَأْواء (أيْ: الشدة) حتى يأتيهم أَمْر الله وهم كذلك؛ قالوا: يا رسول الله؛ وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف

بيت المقدس)). أيّها المسلمون. وفي مثل هذا الشّهر. شهر شوّال. من السّنة الثالثة للهجرة، كانت غزوة أُحُد. غزوة عظيمة في أحداثها ومجرياتها، عجيبة في آياتها ومعجزاتها، شديدة في ضرّائها وابتلاءاتها، غزيرة في عِبرها ودروسها. فبَعد عام واحد من غزوة بدرٍ الكبرى. التي غَشِيَ المشركين فيها ما غشيهم. من هزيمة جيشهم، وقتل سادتهم، وذهاب هيبتهم؛ فأجْمَعُوا أمرهم، وجمعوا حلفاءهم، وأعدّوا عُدَّتهم، وعزموا على غزو المسلمين في المدينة المنوّرة، والثأر لِمَا أصابهم في غزوة بدر؛ وخرجوا في عددٍ يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة سيّدنا أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك. وجرت أحداث هذه الغزوة على سَفْح جبل أُحُد. فسُميّت باسمه. وعدد جيش المسلمين سبعمائة، يبتغون إحدى الحسنيين. النصر أو الشهادة. واستشهد منهم سبعون رضي الله عنهم؛ واختار النبي صلى الله عليه وسلم منهم خمسين رامياً بقيادة سيّدنا عبد الله بن جُبَير. قائلا له:((إنْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَ مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ)). ثمّ قال للرّماة:((إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَوَطِئْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ)). وذكر الله تعالى في سورة آل عمران ما دار بين المسلمين وجيش قريش من القتال، وما حدث من مخالفة الرماة لأوامر الرسول الكريم صل الله عليه وسلم؛ حيث نزلوا لجمْع الغنائم، وما صاحب ذلك من هزيمة المسلمين، ووقوع الأذى بالرسول الكريم نفسه، ثم بيان فضْل الله تعالى على المسلمين، حيث استعادوا تنظيم صفوفهم وطوّقوا قوّات قريش التي اخترقت مواقع الرماة، وهو الأمر الذي حمل قريشًا على أن تعود أدراجها دون أن تحقّق أهدافها في تلك الغزوة، قال تعالى:((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا

تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))، واستشهد في هذه الغزوة سبعون رجلا من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. منهم سيّد الشهداء. أَسَد الله وأسد رسوله. عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم. سيّدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. أيّها المسلمون. إنّها معركة فَيَّاضةٌ بالعِبَر والعِظَات، أحداثُها صفحات ناصعة، يتوارثُها الأجيال بعد الأجيال، أنزلَ اللهُ فيها ستينَ آية في سورة آل عمران، إبتداء من قوله تعالى:((وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). كما نتعلّم منها دروسا كثيرة؛ منها: أنّ ما يصيب المسلمين اليوم من الحروب الظالمة، إلى الفتن المُظلمة، إلى المصائب المُجحفة، في كثير من الأصعدة، من أسبابه مخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ والله تعالى يقول في سورة الشورى:((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)). وكذلك نتعلّم منها أنّ المسلم عندما يرتكب مخالَفة لا يضر نفسه فقط، بل يضر مجتمعَه كلَّه؛ فها هم الخمسون راميا من الصحابة رضي الله عنهم خالفوا أَمْر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا جاءت المصيبة لم تتصيّد الخمسين فحسب؛ بل أصابت الجيش بأكمله، بما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. والله عزّ وجلّ يقول في سورة الأنفال:((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). كما نتعلّم من هذه المعركة أنّ المصيبة علاَمة على محبة الله للعبد. بشرط الإيمان، روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((إِنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ عِظَمِ الْبلاءِ، وإِنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابتلاهُمْ، فَمنْ رضِيَ فلَهُ الرضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ))؛ ولهذا فإنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأفضل فالأفضل، أخرج الترمذي وأحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ:((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ

رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)). أيّها المسلمون. وفي شهر شوّال أيضا نتذكّر غزوة الأحزاب وغزوة حنين. ففي السنة الرابعة من الهجرة انتصر المسلمون في غزوة الأحزاب. رغم قلّة عددهم. حين توكّلوا على الله تعالى. واتّخذوا الأسباب. فحفروا الخندق واحتموا به؛ بينما في السنة الثامنة من الهجرة انهزموا في بداية معركة حُنَين. حين اعتمدوا على كثرة عددهم. وتغافلوا عن التوكّل على الله، حتى قال بعضهم ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لن نُغلب بعد اليوم)؛ وفُجأة انهزموا ولاذ أغلبهم بالفرار. كما قال الله تعالى:((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)). ومن هنا نتعلّم أنّ الواجب على المسلم هو الإتّكال على الله مع اتّخاذ الأسباب؛ فالإتّكال على الله بدون العمل لا يُفيد، وكذلك اتّخاذ الأسباب من غير الإتّكال على الله لا ينفع. أيّها المسلمون. وفي شهر شوّال أيضا نتذكّر زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزوجتَيه: السيّدة عائشة والسيّدة أُمّ سلمة رضي الله عنهما؛ فكانت مناسبة للحديث عن الزواج وفضله. أمّا أُمّنا عائشة رضي الله عنها؛ فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنّهَا قَالَتْ:((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)). وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. فقد تزوّج بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة، فعاشت معه تسع سنوات في

السراء والضراء، تبادله المودّة والرحمة، وتوفِّر له الطمأنينة والسكينة والراحة ؛ قال الإمام الذهبي: (لم يتزوجِ النبي صلى الله عليه وسلم بِكرا غيرها، ولا أَحَبَّ امرأة مثل حبها)، صاحبته في الأسفار فكانت سببا في نزول تشريعات ربانية انتفع بها المسلمون على مدى الأزمنة وامتداد الأمكنة؛ منها: رخصة التيمّم التي نزل القرآن بسببها، حتى قال عنها أحد نقباء الأنصاري الصحابي أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه: 5جزاكِ الله خيرا؛ فواللهِ ما نزل بكِ أمرٌ قط إلا جعل الله لكِ منه مخرجا، وجعل للمسلمين فيه بركة، وما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر). ولم يقتصر الإشادة بشرفها على الإنس فقط؛ بل أشادت بها الملائكة؛ روى البخاري ومسلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم:((يا عائِش؛ هذا جبريل يُقْرِئُكِ السلام))؛ بل تكريمها لم يقتصر على أكرم المخلوقات فقط؛ بل كرّمها ورفع من شأنها رب العالمين؛ فكانت تبرئتها قرآنًا يُتلى على امتداد العصور والأزمان؛ فهي المقصودة بقول الله تعالى:((أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)). أيّها المسلمون. وأمّا أُمّنا أُمّ سلمة رضي الله عنها فقد كان في زواجها قصة استجاب الله تعالى فيها دعاءها؛ فانخرطت في سلك أمّهات المؤمنين؛ فلنتركها تتحدّث لنا عن قصة زواجها المبارك من البداية. ففي صحيح مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم:((مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وسلَّم)). وفي طبقات ابن سعد عن ابْنِ عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ:((أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ عُمَرُ فَرَدَّتْهُ. فبعث إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت: مرحبًا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله: أنّي امرأة غَيْرى، وأنّي

مصبية، وأنّه ليس أحدٌ من أوليائي شاهد. فقولها: وأنّي مصبية، أي ذات صبية، وكانت قد أنجبت من أبي سلمة: سلمة وهو أكبرهم وعمر، وزينب وهي أصغرهم. فبعث إليها رسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أمّا قولك: إنّي مصبية، فإنّ الله سيكفيك صبيانك؛ وأمّا قولك: إنّي غيرى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك؛ وأمّا الأولياء، فليس أحدٌ منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني. قالت: يا عمر. تعني ولدها. قم فزوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم)). وفي رواية: قالت:((لمّا خطبني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، قلت: إنّي فيَّ خلال لا ينبغي لي أن أتزوّج رسول الله: إنّي امرأة مسنّة، وإنّي أُمّ أيتام، وإنّي شديدة الغيرة. قالت: فأرسل إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أمّا قولك: إنّي امرأة مسنّة، فأنا أسنُّ منك، ولا يعاب على المرأة أن تتزوّج أسنَّ منها؛ وأمّا قولك: إنّي أمّ أيتام، فإنّ كلّهم على الله وعلى رسوله. وأمّا الغَيْرة فيذهبها الله عزّ وجلّ))، فتزوّجها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم في شوّال سنة أربع من الهجرة. وقد عاشت رضي الله عنها هي وأبناؤها في بيت النّبوّة، فنالت بهذا شرف أن تكون أُمًّا للمؤمنين، ونال أبناؤها شرف أن يتربَّوْا في حجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم. أيّها المسلمون. وهكذا تظلّ سيرةُ رَسُول اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحداثها ودروسها معلِّماً هادياً. ودرساً بليغاً، وَعَتْهُ الأجيال المسلمة فيما مضى، وينبغي أنْ تَعِيَهُ في زماننا. فنسأل الله الكريم. ربّ العرش العظيم. بحرمة أحبّ الخلق إليه. وأكرمهم عليه. سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله وسلم عليه. وبحرمة آله وأصحابه الذين اصطفاهم لصحبته. وأهّلهم لنصرته. أن يجعلنا ممّن إعتبر وادّكر بهذه السيرة. فتاب إلى ربّه واستغفره من كلّ صغيرة وكبيرة. كما نسأله تعالى بمنّه وكرمه أن يفتح للمسلمين فتحا من عنده، وأن يردّهم إلى دينهم ردّا جميلا، وأن يجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، وأن يكبت أعداءهم، إنّه سميع مجيب. اللهم واجعلنا من الراشدين. وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير

خزايا ولا مفتونين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ